



حوار موقع KHAMENEI.IR الإعلامي مع النجل الأكبر للإمام الشهيد؛ آية الله السيد مصطفى الحسيني الخامنئي:

الإمام الخامنئي كان من أوائل منظري الفكر الاجتماعي في الثورة الإسلامية (٢/٢)

جلسة ضمت سماحته والوالد وأنا وأخي في الغرفة ذاتها بالمبنى رقم (٢)؛ وبعد انتهاء الجلسة، وبينما كنا نودعه خارجاً، أوصاني بقراءة سورة معينة من القرآن حفظاً لسماحة الوالد. وأحياناً كنت أرى بعض الأعلام الآخرين وهم يهيمون بالخروج، يسرون لسماحة الوالد ببعض النقاط والتوصيات الخاصة.

كان ذلك يعكس عناية هؤلاء الأكابر بسماحة الوالد وميلهم إليه، وهو ما كان يتجلى بوضوح شدي. ويحدوني تصور - على سبيل الاحتمال - بأنه وراء هذه الروابط الظاهرية وتلك الانطباعات، كان ثمة ارتباط باطني وثيق. وخلاصة القول، لقد كانت تلك اللقاءات والزيارات مثمرة ومباركة جداً، ومثلت لسماحة الوالد - وسط تلك الأعياء والضغط العملية - لحظات ملكوتية حقاً؛ إذ ربما يمتد بهم المجلس قرابة الساعتين، يفيض بجميل الأحاديث وشائق الأخبار، ويُطرح فيها من المطالب والمباحث المفيدة الشيء الكثير. فهؤلاء الخواص من أهل المعنى، رغم تباين مشاربهم ومسالكهم، ولكنهم أجمعوا على إيلاء اهتمام وعناية خاصة بسماحة الوالد. وعلى أي حال، أتصور أن سماحة الوالد ممن يلتزمون «التستر» الشديد، فحقائق أحواله لا تكاد تظهر للآخرين. إنه من أهل التهجد الطويل، ولبرنامج في السحر وقت طويل نسبياً. ومن جهة أخرى، فهو يتجلى بصفات شخصية رفيعة؛ فقد ذكر في المرحوم الشيخ خوشوقت مرتين: «إن سماحة الوالد متواضع جداً»، وقد استوفقتني ذلك لأن الشيخ خوشوقت كان مقلداً جداً في مدح الأشخاص أو وصفهم، ومع ذلك فقد بادرتي بذكر هذه التكلفة مرتين. ونحن نلصق ذلك واقعاً، ولا سيما في تعامله مع الأفراد، إذ يضع اعتباراته كافة جانباً ويُقبل عليهم بتواضع. ومثل هذه السجايا لا تنفصل عن الحقائق الباطنية، أما بلوغها حد النصاب، فمما لا يمكنني الجزم به. يُنقل عن أبناء المرحوم السيد جمال الكلبايكاني (رحمته) أنهم لم يكونوا يدركون حقيقة مقام والدهم؛ فقد روى من كان على صلة به أنه حين كان يدور بينهم حديث من نوع خاص، فإذا ما دخل أحد أبنائه، عدل فوراً عن الحديث وشرع في مناقشة فرع فقهي عن الطهارة والنجاسة وما شابه، حائلاً دون إدراكهم كنه ما كان يُطرح. طبقاً لأقصد هنا التشبيه، بل هو من باب «التنظير» بأن الأمور قد تحدث على هذا النحو.

تماماً مع أسس الثورة، كانت من طلائع ذلك الفكر الأصيل. طبقاً، في ذلك الزمان، كان المناضلون الميدانيون الممسكون بزمام المبادرة قلة قليلة؛ ناهيك بأن بعض المناهضين للشاه كانت لديهم إشكالات أعمق، كأن يكونوا شيوعيين مثلاً، لديهم خصومة مع أصل الأسس الدينية ويسعون وراء أهداف أخرى.

كيف كان المنهج السلوكي لآية الله السيد جواد الخامنئي؟ وهل تأثر بشخصية معينة؟

ربما لا يمكن الحديث في هذا الشأن على نحو قطعي؛ فذلك يتطلب سماع أقوال أو مشاهدة سلوكيات ذات دلالة خاصة. ومن نماذج هذا الاحتياط في السنوات الأخيرة - مع كثرة التردد على العتبات المقدسة - أنهم أحضروا له مرات عدة قطعاً من الرخام المطهر الناتج من ترميم قبور الأئمة (عليهم السلام)، لكنه كان يحتاط ويرفض قبولها، خشية أن تكون تلك الحجارة لا تزال قابلة للاستخدام في الضريح المطهر. طبعاً هو لا يفرض رأيه على الآخرين، لكنه يلتزم بهذه الاحتياطات والقيود في خاصة نفسه من دون أي تظاهر.

مصاريق معيشتنا وطعامنا كانت كبقية الشعب عبر البطاقات التموينية، ولكنه دفع ذلك المبلغ للإمام لمجرد سكنه في ذلك المنزل، وقد رفض الإمام تسلم المبلغ في البداية قائلاً إنه لا داعي لذلك، لكنه قبلها أمام إصرار سماحة الوالد.

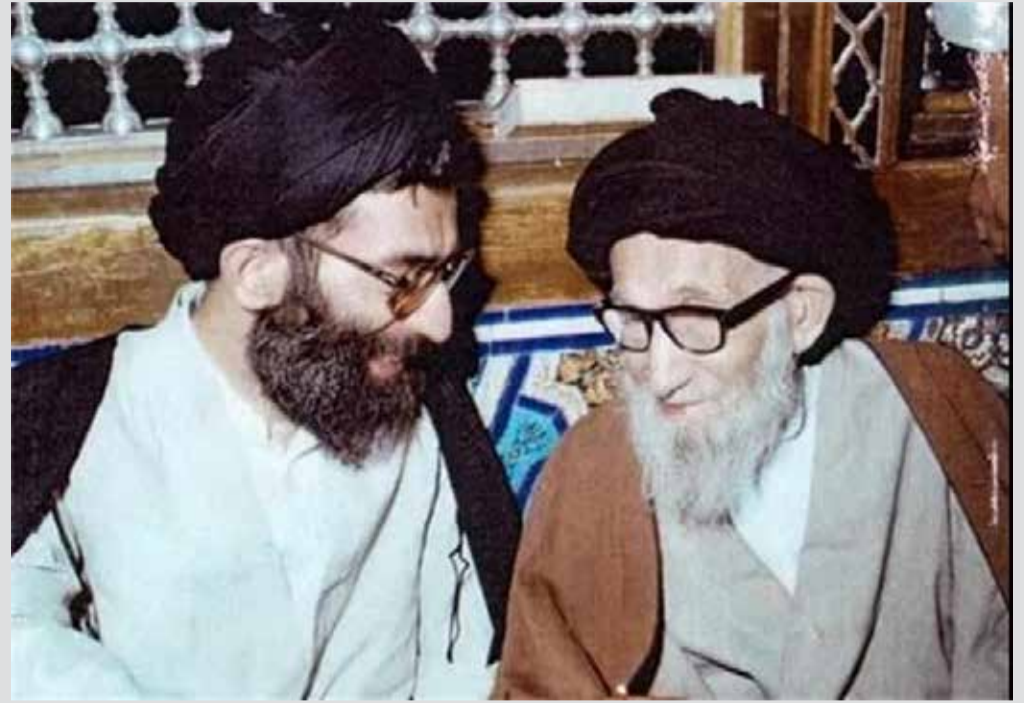
لقد كان حريصاً على رعاية بيت المال كي لا يبقى في ذمته شيء. وهو الآن بمنزلة موظف لدى النظام، لكنه لا يتقاضى راتباً أبداً، وتُقتضى شؤون حياته من التبرعات والهدايا وما شابه. وهذه هي الحال طوال الثلاثين عامًا الماضية وأكثر. بل إنه دفع أخيراً قيمة السكن وما شابه مما كان يُعد حقاً له في السابق، إذ احتسب تكلفته حتى عن السنوات الماضية وسددها.

ومن نماذج هذا الاحتياط في السنوات الأخيرة - مع كثرة التردد على العتبات المقدسة - أنهم أحضروا له مرات عدة قطعاً من الرخام المطهر الناتج من ترميم قبور الأئمة (عليهم السلام)، لكنه كان يحتاط ويرفض قبولها، خشية أن تكون تلك الحجارة لا تزال قابلة للاستخدام في الضريح المطهر. طبعاً هو لا يفرض رأيه على الآخرين، لكنه يلتزم بهذه الاحتياطات والقيود في خاصة نفسه من دون أي تظاهر.

دعونا ننقل إلى جانب آخر من حياة المرحوم آية الله السيد جواد الخامنئي وشخصيته. كيف كانت علاقة المرحوم جدك بالإمام الخميني وبالثورة؟

أصدر الإمام الخميني (رحمته) برقية تعزية عقب وفاة المرحوم جدي. ويبدو أن جدي كان على معرفة بالإمام عمومًا، وكانت جدتي تقول إن الإمام زار منزلنا. كانت جدتي ثورية وبالمصطلح الدارج «حزب الهبة»، لذا لم تكن علاقتها جيدة بانبتها الوحيدة التي سلكت مسارا مختلفًا، وكذلك كان جدي... باختصار، رغم أن المرحوم جدي لم يمتلك تلك الروحية الاجتماعية التي يمتلكها سماحة الوالد، ولكن سجل حياته حافل بمناهضة النظام الملكي؛ فذات مرة كتب برفقة أربعة من العلماء رسالة انتقادية لرئيس الوزراء، وكان لتلك الرسالة وقع لافت.

وإذا فارتنا ذلك بسماحة الوالد وعقليته السياسية والاجتماعية؛ نجد أنه حين كان في المنفى بمدينة «إيرانشهر»، كتب مع أربعة من المنفيين رسالة احتجاجية إلى الأمين العام للأمم المتحدة، وأدى نشاطات مشابهة كانت تعبر بعمق عن النضال ضد النظام. ذات مرة، وبينما كان سماحة الوالد في منفاه بمدينة إيرانشهر، زاره المرحوم الشهيد صدوق. وهناك دارت بينهما نقاشات، ويبدو أن سماحة الوالد طرح في ذلك الجمع طرحاً فكرياً قويًا وعميقًا نال إعجاب شخص كالشيخ صدوق؛ أيما إعجاب، حتى قال له: «اكتب لي رسائل»، قاصداً بذلك رغبته في الاستفادة من فيوضاته الفكرية وتحليلاته للشؤون الدينية والسياسية. يأتي هذا رغم الفارق العمري الكبير بينهما؛ إذ كان الشيخ صدوق حينها شيخاً في السبعين من عمره، وبمنزلة الوالد لسماحة الوالد، في حين كان هو شابًا مفعماً بالحماسة، متبحراً في العلم، وصاحب «مبنى»، وأنا أؤكد هنا كونه صاحب «مبنى»؛ أي إنه كان مجتهدًا بالمعنى الحقيقي للكلمة. وعلى أي حال، فقد كتب سماحة الوالد للشيخ صدوقي رسالتين تبيينيتين ما تزالان موجودتين، وتكشفان بوضوح عن عمق منهجه العلمي واجتهاده. ولعلنا نستطيع القول إن سماحة الوالد كان من أوائل المنظرين لهذا الفكر الاجتماعي؛ وهو ما يظهر جلياً في آثاره المنشورة من نقاشات تلك الحقبة، حيث نرى شابًا في الثلاثينيات يطرح مباحث غاية في الدقة. وأي فرد لديه إمام بالمسائل الدينية يدرك أن تلك الأطروحات كانت رائدة وحديثة. أتذكر جيدًا أن غالبية مخاطبيه كانوا من الشباب والجامعيين، وهو نسج سخاني كان يعدّ غريباً في ذلك الركن من مدينة مشهد آنذاك. واليوم، وبصفتي طالبًا للعلوم الدينية، أدرك تلك الرؤى وطريقة التفكير التي كانت تتسق



بشأن ما ذكر عن الزهد؛ قد يفتقر المرء كاملة. قد يعيب بعض الناس، لكنّه، من دون أن يُظهر شيئاً، يتشغل بالحديث مع الأصدقاء والمزاح معهم. وهذه أمور كنا نراها دائماً على مرّ الزمن. وبالطبع، إن الركن المهم الآخر في صفاء هذا المنزل هو والدنا؛ فإلى جانب هذه الخصلة عند سماحته، هناك أيضاً متابعة والدنا وجدتيها واهتمامهما الاستثنائي. ولهذا، فهذه الأمور هي التي تمنح أجواء الأسرة ذلك الصفاء.

وعلى المستوى الكلي أيضاً، لدى سماحة الوالد سلوكيات ترجع جذورها إلى هذه الخصائص نفسها، أي صفاء الباطن وعزة النفس. ففي بعض الأحيان، كان بعضهم يسيء إلى سماحته إساءات بالغة، لكنّه رغم ذلك لا ينسى أن يطلب لهم المغفرة. ففي إحدى المرات، قال أحد الأشخاص بحضرتة، بحدة: «لن الله فلائلاً» وكان المقصود شخصاً ارتكب إساءات كبيرة جداً، وعلى حدّ التعبير «لم يُشهر سيفه فقط، بل أخرجه من عنده أيضاً، وهاجم، ووجّه ضربة، وقد أصابت هذه الضربة فعلاً». حتى إن سماحته قال للناس، في جلسة عامة هنا في هذه الحسينية، عن فعل هؤلاء: «إن الله حلّ هذه المسألة». وكان الإمام الراحل نسب تحرير خرمشهر مباشرة إلى الله، فإن سماحة الوالد أيضاً نسب حلّ هذه المسألة مباشرة إلى الله. فقال لذلك الشخص: «إلى الآن، لم ألعن مثل هؤلاء الأشخاص، ولم أطلب من الله موتهم». وقد بد لي هذا أمراً عجيبيًا، ويُظهر أن الإنسان لا بد أن يملك رصيداً باطنياً يتكئ عليه لكي يُبدي هذا القدر من الحلم وسعة الصدر. وهذه النقطة أيضاً يمكن أن تكون متجذرة في خصائص والده المرحوم.

وأما الزهد، فالمرء كذلك حتماً. ولا سيما أن سماحة الوالد وأخاه الأكبر نشأ في بيئة ذاقا فيها الفقر والضيقة، ولكن مع حفظ العزّة. أي إن والدهما لم يكن من النوع الذي يذهب، بسبب الفقر، إلى هذا ذاك أو يُقدم على مثل هذه الأمور. وبالطبع، فإن جدتي أيضاً كانت متعاونة مع هذه الظروف. فعلى سبيل المثال، تردّ في ذكريات والدي أنه قال كيف كانت والدته تحبب الأطفال للزهد، وأمثال هذه الأعمال.

وخصلة مشتركة أخرى كانت موجودة أيضاً عند المرحوم جدي، هي الاهتمام بالمطالعة. كان جدنا شديد الاهتمام بالقراءة، وحتى في أسفار طهران، كان سماحة الوالد أو أخوه يجلبان له الكتب. والآن أيضاً، يقرأ سماحته كثيراً، رغم كثرة مشاغله، فإن المطالعة دائماً هي المقدّمة التي تسبق نومه. وطوال هذه السنوات، قرأ من الكتب ما يوازي مكتبة كبيرة فعلاً، ولا يظهر من ذلك إلا عدد قليل جداً عبر الحواشي والتقاريط. وهذه الخصلة أيضاً، في رأيي، مشتركة بين الأب والابن. وكذلك قلة الطعام وقلة الأكل هي أيضاً من خصالهما المشتركة.

هذا العمر وهذه المشاغل، أن ينتظر ساعة كاملة. قد يعيب بعض الناس، لكنّه، من دون أن يُظهر شيئاً، يتشغل بالحديث مع الأصدقاء والمزاح معهم. وهذه أمور كنا نراها دائماً على مرّ الزمن. وبالطبع، إن الركن المهم الآخر في صفاء هذا المنزل هو والدنا؛ فإلى جانب هذه الخصلة عند سماحته، هناك أيضاً متابعة والدنا وجدتيها واهتمامهما الاستثنائي. ولهذا، فهذه الأمور هي التي تمنح أجواء الأسرة ذلك الصفاء.

وعلى المستوى الكلي أيضاً، لدى سماحة الوالد سلوكيات ترجع جذورها إلى هذه الخصائص نفسها، أي صفاء الباطن وعزة النفس. ففي بعض الأحيان، كان بعضهم يسيء إلى سماحته إساءات بالغة، لكنّه رغم ذلك لا ينسى أن يطلب لهم المغفرة. ففي إحدى المرات، قال أحد الأشخاص بحضرتة، بحدة: «لن الله فلائلاً» وكان المقصود شخصاً ارتكب إساءات كبيرة جداً، وعلى حدّ التعبير «لم يُشهر سيفه فقط، بل أخرجه من عنده أيضاً، وهاجم، ووجّه ضربة، وقد أصابت هذه الضربة فعلاً». حتى إن سماحته قال للناس، في جلسة عامة هنا في هذه الحسينية، عن فعل هؤلاء: «إن الله حلّ هذه المسألة». وكان الإمام الراحل نسب تحرير خرمشهر مباشرة إلى الله، فإن سماحة الوالد أيضاً نسب حلّ هذه المسألة مباشرة إلى الله. فقال لذلك الشخص: «إلى الآن، لم ألعن مثل هؤلاء الأشخاص، ولم أطلب من الله موتهم». وقد بد لي هذا أمراً عجيبيًا، ويُظهر أن الإنسان لا بد أن يملك رصيداً باطنياً يتكئ عليه لكي يُبدي هذا القدر من الحلم وسعة الصدر. وهذه النقطة أيضاً يمكن أن تكون متجذرة في خصائص والده المرحوم.

وأما الزهد، فالمرء كذلك حتماً. ولا سيما أن سماحة الوالد وأخاه الأكبر نشأ في بيئة ذاقا فيها الفقر والضيقة، ولكن مع حفظ العزّة. أي إن والدهما لم يكن من النوع الذي يذهب، بسبب الفقر، إلى هذا ذاك أو يُقدم على مثل هذه الأمور. وبالطبع، فإن جدتي أيضاً كانت متعاونة مع هذه الظروف. فعلى سبيل المثال، تردّ في ذكريات والدي أنه قال كيف كانت والدته تحبب الأطفال للزهد، وأمثال هذه الأعمال.

وخصلة مشتركة أخرى كانت موجودة أيضاً عند المرحوم جدي، هي الاهتمام بالمطالعة. كان جدنا شديد الاهتمام بالقراءة، وحتى في أسفار طهران، كان سماحة الوالد أو أخوه يجلبان له الكتب. والآن أيضاً، يقرأ سماحته كثيراً، رغم كثرة مشاغله، فإن المطالعة دائماً هي المقدّمة التي تسبق نومه. وطوال هذه السنوات، قرأ من الكتب ما يوازي مكتبة كبيرة فعلاً، ولا يظهر من ذلك إلا عدد قليل جداً عبر الحواشي والتقاريط. وهذه الخصلة أيضاً، في رأيي، مشتركة بين الأب والابن. وكذلك قلة الطعام وقلة الأكل هي أيضاً من خصالهما المشتركة.

برأيكم، ما هي الجوانب في شخصية سماحة الوالد التي تأثرت من والده؟

إن الإجابة عن هذا السؤال على نحو طيّب ممكنة، أمّا الإجابة القطعية، فصعبة. وأنا أستخدم هنا تعبير النبل أو عزة النفس، وهو ما تجلّى عند سماحته، ولا سيما في عالم السياسة. فعلى سبيل المثال، وبسبب سلامة الباطن نفسها التي يتجلّى ظهورها في صورة الزهد، لم أسمع أن المرحوم جدي سعى يوماً إلى استغلال اجتهاده أو، باختصار، من مكانته، حتى إنه - في ما يبدو - اعترض على تسمية زقاق باسم «الخامنئي» في حياته. وكان حذراً حتى في المسائل الأيسر من ذلك بكثير. فمثلاً، سمعت أن ختاز الجي، وكان اسمه محمد آغا، حين كان جدي يذهب ليشترى الخبز، كان يريد - احتراماً لكون المرحوم جدي عالماً وسيّداً - أن يعطيه الخبز قبل دوره، لكن المرحوم جدي لم يكن يقبل بذلك.

وفي هذا السياق، راودتني ذكرى تتعلّق بهذه الخصائص نفسها. ذات مرة، في مرحلة صبايا، كنا جالسين معه في غرفته نفسها في الطابق العلوي. فقلت له: «هل أنت آية الله؟» فأجابني بتواضع خاص، وكان مقصوده أن هذه الألقاب والعناوين ليست مهمة. أو مثلاً، كان عتناً يكتب عنه في بعض المواضيع «حضرة آية الله فلان»، فكان المرحوم جدي يشطب كلمة «آية الله» من اسمه. ويبدو أن حياة المرحوم جدي كانت قد تشكّلت على هذا الأساس؛ أن يتبعد عن تلك الأمور، والأب يضع نفسه - على حدّ التعبير - في الواجهة. ولذلك إن مثل هذا الشخص لا تكون له حلقات درس كثيرة، ولا تلاميذ، ولا مؤلفات، ولعلنا مثلاً ذلك فعلاً هو هذا الانكفاء نفسه، ويرجع إلى تلك الخصائص بعينها.

لقد كان جدنا تلميذاً للمرحوم الآغا زاده في «الكفائية»، وكانت لديه نسخة من كتاب «الكفائية» يبدو أن نسخة المرحوم الآغا زاده كانت ملحوظة فيها. وخلاصة القول إنه أخذ أسرار «الكفائية» أو دقائقها من ابن المرحوم الآخوند، وعلى القاعدة كان متمكناً منها. ومن الطبيعي أن شخصاً بهذه التجربة، لو أراد، لكان يستطيع مثلاً أن يدرّس «الكفائية» في مشهد. ففي النهاية، كان رجلاً مقدّساً، وكان صاحب علم أيضاً؛ أي إنه كان يملك جاذبية القداسة وجاذبية العلم معاً. لكنّ هذا العزوف عن التدريس قد يكون مرتبطاً بهذه الخصلة نفسها. وفي رأيي، إن هذه الخصلة مشتركة - في الجملة - بين والدي وبين المرحوم جدي.

ونقطة أخرى هي أنني أرى أن الجوّ داخل منزل والدي جوّ مفعم بالصفاء؛ وعلى حدّ التعبير المعروف: «إن لم يكن فيه رونق، ففيه صفاء». حياتهم بسيطة، لكنّها حياة فيها صفاء، وأحد أركان هذا الصفاء هو هذه الخصلة الموجودة عند سماحته؛ فهو، على حدّ التعبير، لا يصعب الأمور. افترضوا مثلاً أن الغداء لم يكن قد أصبح جاهزاً في أحد الأيام - مع أن هذا نادر جداً - واضطرّ، مع



أذكر